أهلها أخذوها إلى ذلك الرجل الطيب الذي حدثناك عنه. ظل يضربها بعصا غليظة، على رأسها وصدرها وظهرها وأطرافها، لم يتوقف إلا عندما سقطت على الأرض وتلوّت وتحدثت بصوت خشن متحشرج وطلع منها العفريت. والحمد لله رجعت بيتها وهي الآن...

تركتهما إلى المطبخ؛ لأنني لم أطق المزيد، أو لأنني للحظة فكرت أن آتي بيد المكنسة وأنزل بها عليهما فأخرج ما في رأسهيما من عفاريت. أعددت لنفسي قهوة وجلست إلى طاولة المطبخ أرتشفها ببطء، لم أتحرك من مكاني إلا عندما سمعت طرقة الباب.

لا أفهم النساء، لا شقيقتاي ولا شهرزاد ولا بناتي. هل أعرف بناتي؟! كأنني أعرف، وكأنني لا أعرف. أتأمل مدى تعلقي بشهرزاد الصغيرة، أقول ستكبر وتصبح امرأة لا أفهمها، أجلس معها ولا أعرف أي كلام يتعين علينا أن نتبادله، يحدث ذلك أحيانا حين يداهمني الخوف، الخوف من لا شيء ومن كل شيء. الحياة موحشة. الأمهات يمتن مبكرًا حتى إن امتد بهن العمر للثمانين. دائما يذهبن قبل الأوان. احتفظت أمي بالغمازتين في وجنتيها وبضحكتها إلى أن رحلت. أحب ضحكتها والغمازتين، أستعيدها. الشوارع تغص بالناس، ولي دفتر كبير ثبت فيه صفحات إضافية، تمر عيناي ببطء على الأسماء وأرقام الهواتف، أقلب الصفحة. ليست موحشة إلى هذا الحد. أرتدي ملابسي وأذهب إلى ابنتي لأرى شهرزاد، أو استرجع صورتها وهي طفلة تتعلم المشي والكلام، أو وهي أكبر قليلا تدهشني استجاباتها. كانت في الرابعة. رسمتُ لها عصفورا. سألت:

ـ هل يطير؟

قلت:

ـ الآن سيطير، وأنا أيضا سينبت لي جناحان وأطير معه.